



إعداد عمار كاظم

amak_14@yahoo.com

العمق الرسالي في شخصية الإمام علي (عليه السلام)



الإمام الجواد (عليه السلام).. معجزة بشرية

العبادة تمثل غاية الخضوع (فإن كان الناطق عن الله فقد عبد الله « فإذا كان كلامه هو كلام الله فإنه قد عبد الله في أصغاته اليه «وإن كان ينطق عن إبليس فقد عبد إبليس» لأنه خضع له بكلية وانجذب لكلماته.

ورغم قصر المرحلة التي عاشها الإمام الجواد (عليه السلام)، حيث تذكر سيرته أنه لم يعيش سوى خمس وعشرين سنة، فقد ترك أثره بين الناس، وذاع صيته لدى العلماء، وأصبح طالبو العلم يقدون اليه من كل فج عميق، وقد تميز الزمن الذي عاش فيه الامام (عليه السلام) بانتشار المدارس والمعاهد العلمية والثقافية والمعرفية، وكثرة الفرق الدينية والمدارس الفلسفية، ويكفي حتى نلصق العطاء الفكري والعلمي للإمام (عليه السلام)، ما تركه من تراث علمي وفقهي، أو من خلال كثرة أصحابه وتلامذته والرواة عنه.

هنا هو الامام الجواد (عليه السلام) في عظمة علمه وهديه، وهنا هو في وصاياه ومواعظه ونصائحه، فهو مشعل من مشاعل الهداية والصلاح، لذلك نحن في خط هذا الامام وخط آياته واتبائه (عليهم السلام)، لأنهم أهل بيت النبوة، وموضع الرسالة، ومختلف الملائكة، بهم فتح الله وبهم يختم، فالسلام عليهم يولد ويوم يبعث حيا.

وهذه بعض كلمات الامام (عليه السلام) في الوظ والنصح رغم صغر سنه، في الجانب الاجتماعي السلوكي، هذه الكلمات قالها وهو ينصح بعض أصحابه: «لا تكن وليا لله في العلانية وعدوا له في السر» فالامام (عليه السلام) أراد من خلال هذه الكلمات، أن يعالج حالة أولئك الذين يظهرون أمام الناس بمظهر الأتقياء المؤمنين، سواء في عباداتهم أو في كلماتهم أو في علاقاتهم، لكنهم في الوقت نفسه عندما يعيشون السرية في حياتهم، فقد تجدهم أعداء لله، كأولئك الذين يظلمون أسرهم، ويظلمون الناس الذين هم تحت سلطتهم، أو كأولئك الذين يفتنون ويكذبون في السر، بحيث يظهرون للناس بمظهر الأتقياء، ولكنهم في السر يعيشون عيشة الأشقياء، الذين لا يتركون دنيا إلا لأتبيوه، ولا يتركون أحدا إلا ظلومه.

وفي كلام آخر يتحدث فيه الامام (عليه السلام) عن الناس الذين يستمعون الي بعض الخطباء أو بعض الوعاظ وينجذبون اليهم ويأخذون ما يتحدثون به من دون تفكير، بحيث أنهم يسلمونهم عقولهم من دون أن يفكروا في طبيعة هذا الخطيب أو ناك، في علمه، في ثقافته، في استقامته، يقول (عليه السلام): «من أصغى الي ناطق فقد عبده» فهو يعني أن الأصغاء والتسليم إن يتكلم هو نوع من أنواع العبادة، لأن

من أهل بيت النبوة الامام محمد بن علي الجواد (عليه السلام)، وهو من أصغر الأئمة (عليهم السلام) في العمر الزمني، الا أنه مع صغر سنه الذي يلتقي مع صغر سن يحيى (عليه السلام)، كان يمثل ما يشبه المعجزة البشرية، «وأثبتناه الحكم صبيا» (مريم/ 12)، فقد كان ذلك في المجتمع الذي يحكمه بنو العباس الذين اضطهدوا الأئمة (عليهم السلام) بمختلف أنواع الاضطهاد، حيث كانوا يخافون على ملكهم منهم، لأن الأئمة (عليهم السلام) كانوا يملكون الثقة الكبرى لدى المسلمين من مختلف المذاهب والاتجاهات، سواء كانوا ممن يقولون بأمامتهم، أو ممن لا يقولون بها.

تميز الامام محمد الجواد (عليه السلام) بالعلم الواسع الغزير الذي تفوق به على كثير من علماء عصره، حتى ان الخليفة العباسي آنذاك، المأمون، الذي كان من الخلفاء المثقبن؛ كان يقدره ويعظمه تعظيما كبيرا، كما ينقل «كان المأمون قد شغف بابي جعفر . وهذه كنية الامام الجواد . لا رأى من فضله مع صغر سنه، وبلوغه في العلم والحكمة والأدب وكمال العقل ما لم يساوه فيه أحد من مشايخ أهل الزمان، من علمائه، وزوجه ابنته أم الفضل متوفرا على إكرامه وتعظيمه وإجلاله قدره».

يتعرفوا عمق المعرفة عند الامام علي (عليه السلام) يتطلعون الى رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) باعتباره يحمل كل علم الانسان، لأن الله أوحى اليه بالقرآن، وأوحى اليه بالاسلام، والهيمه علم ذلك كله، فكان المسلمون يتطلعون اليه، ويحارون كيف يستطيعون أن يأخذوا العلم منه، ذلك لأن عليا (عليه السلام) عاش علم رسول الله كله، ومن ثم كان الوحيد من بين الصحابة الذي لم يسأل عن مسألة الا وأجاب عنها، وكان الوحيد الذي لم يبحث أن يسأل أحدا عن مسألة، بل كان المرجع الذي يرجع اليه الصحابة في كل أمورهم.

وقد بلغ الامام علي (عليه السلام) ما بلغ من العلم، لأنه كان يستمد علمه مباشرة من منبع الذي كان يعيش في أجوائه دائما، لأن رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) كان يعطيه الكثير من وقته، على أساس أنه كان يعطيه في كل ليلة علما من علمه. من هنا، فإن علم الامام علي (عليه السلام) مستمد من الاسلام، وليس له فكر غير فكر الاسلام، حتى أفكاره في تجاربه كان يستمدتها من الخط الاسلامي العام.

تجديد العلاقة مع الله تعالى بالتوبة والاستغفار

يدخلوا الجنة وكلهم نور، حيث لا نقص في هذا النور، بل اتمام النور بالمغفرة - واغفر لنا أنك على كل شيء قدير». التوبة تصحح كل نفسك وتغيرها، وتجعلك تصنع نفسك صناعة جديدة: الآن قبل غد، وغدا قبل بعد غد: «حاسبو انفسكم قبل أن تحاسبوا وزنوها قبل أن توزنوا»، وإذا ثبت الى ربك وعرف الله منك صدق التوبة وأنها التوبة النصوح، فسوف يحبك، «وهو الذي يقبل التوبة عن عباده ويعفو عن السيئات» (الشورى/ 25)، و«يحب التوابين» (البقرة/ 222)، وما أحلى أن نحصل على محبة الله، إن حلوة محبتنا لله وحلاوة محبة الله لنا هي السعادة كل السعادة، هي اللذة كل اللذة، هي الخير كل الخير، ولذا لا قيمة لحب الناس لنا مقابل حب الله، لأن حب الناس زائل، بينما حب الله يمتحننا رضوانه وقربه وحنه، «وفي ذلك فليتنافس المتنافسون» (المطففين/ 26).

ففي الحديث عن الامام الصادق (عليه السلام) قال: «إذا تاب العبد توبة نصوحا أحبه الله فستر عليه في الدنيا والآخرة»، فقلت: وكيف يستر عليه؟ قال: «ينسى ملكيه ما كتبنا عليه من الذنوب، ويوحى الي جوارحه: اكنمى عليه ذنوبه - فلا تشهد عليه يده أو رجله أو لسانه - ويوحى الي بقاع الأرض - لأن كل أرض تعصي الله فيها تشهد عليك، وكل أرض تطيع الله فيها تشهد لك - اكنمى عليه ما كان يعمل عليك من الذنوب، فيبقى الله حين يلقاه وليس شيء

رضاه، وللتحرك في مواقع قربه، وعند ذلك يمكن لك أن تغلق تاريخ الماضي، وتفتح لتنفسك تاريخا تصنعته من جديد، وهو تاريخ العودة الى الله والسير في الخط المستقيم والطاعة لله، وهذه هي التوبة النصوح، أن تفكر عند التوبة أن لا تعود الى المعصية، بحيث تتعامل مع نفسك من موقع وعيك لخطورة المعصية وعظمة الطاعة

ومسألة التقرب الى الله. «يا أيها الذين آمنوا توبوا الى الله توبة نصوحا عسى ربكم - اذا تبتدم وعشتم في هذا الجو ورجعتم اليه - أن يكفر عنكم سيئاتكم - فيجعل تلك السيئات كما لو لم تكن، لأن التائب من الذنب كمن لا ذنب له - ويدخلكم جنات تجري من تحتها الأنهار - لتنضموا الى المسيرة التي بدأها رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) واتبعه فيها المؤمنون وساروا على نهجه - يوم لا يخزي الله النبي والذين آمنوا معه - هؤلاء الذين عاشوا الايمان فكرا وحركة وجهادا، وأخلصوا لله ولرسوله وجهادوا في سبيل الله، يقفون في يوم القيامة والنبي قائدهم - نورهم يسعى بين أيديهم - وهو نور الايمان والجهاد والطاعة - ويمايناهم - لأنهم كانوا يركون ايمانهم في ما يرضي الله، سواء في مقام العطاء أو التعاون على البر والتقوى أو في مقام الجهاد - يقولون - وهم يشعرون أنهم ربما أخطأوا بعض الخطأ في ما عاشوه في الدنيا، أو صدرت منهم بعض المعاصي، فيقولون: - ربنا اتمم لنا نورنا - حتى

لا أحد ينكر صحة الحكمة القائلة: «الوقاية خير من العلاج»، لذا فإن ترك الذنب واجتنابه أسهل بكثير من طلب التوبة بعد التدنس بشوائبه، كما قال أمير المؤمنين (عليه السلام): «ترك الذنب أهون من طلب التوبة». لكن رحمة الله واسعة ورحمة بان جعل للانسان باب مفتوح دائما هو طلب المغفرة بعد التوبة من الذنب، يقول الله تعالى في كتابه المجيد: «يا أيها الذين آمنوا توبوا الى الله توبة نصوحا عسى ربكم أن يكفر عنكم سيئاتكم ويدخلكم جنات تجري من تحتها الأنهار» (التحريم/ 8)، بهذا النداء الالهي الذي يتكرر في أكثر من آية من آيات القرآن الكريم، يريد الله تعالى أن يدعو عباده الى أن يرجعوا اليه، ويخلصوا له، ويستقيموا في دربه، كي لا ينساقوا وراء اغراءات الشيطان، مما يؤدي الى الانحراف عن الصراط المستقيم والبعد عن الله والوقوع في المعصية.

فالله سبحانه وتعالى يريد أن يقول للانسان: انني اعرف أنك قد وقع في الخطيئة، وقد تنحرف عن الدرب، وقد تسقط أمام التجربة، ولكني لا أريد لك أن تشعر باليأس من رحمتي وبالخطوط من مغفرتي، فقد فتحت لك، في كل موقع تشعرك فيه بالحاجة الى أن تعود الي، الطريق باوسع مما بين السماء والأرض، بأن توب الي توبة تدم بها على ما فعلته، وما يترتب على ذلك من نتائج سيئة تحصل لك في الدنيا والآخرة، ثم لتفكر في المستقبل، باعتبار أنه يمنحك أكثر من فرصة لتجديد علاقتك بالله وللحصول على

الأم .. شمولية البر والإيثار

وأمان. ولقد دعتنا فطرتنا السليمة، كما شرعنا الاسلامي الحنيف، أن نقبل على الام بكل احترام وتقدير وبر، وأن نلتفت الى قيمتها وتضحياتها، فنكرمها على أساس أن نلتزم بما ربتنا عليه من قيم أخلاقية وإنسانية صالحة لنا، فهي لا تريد مكافأة ولا كلمات، انها تريدنا أن نكون الأوفياء لها عبر الوفاء للحياة، بأن نرفدها بكل خير ونفغ وصلاح، حيث تشعرك الأم بأن السعادة تغمر قلبها، وتشعرك بروحها تحلق عندما تكون ثمار تربيتها لنا سلوكا نافعنا جسدها في حياتنا الخاصة والعامه. ومن المعيب أن يبادر البعض الى آذية الوالدين، وبالأخص الأم، بأن يقسو عليها بالكلام، أو يتجرأ عليها بيده، أو يعضبها بتصرفاته، أو يفشت عن أيسر الطرق للتلخص منها في حال عجزها وهرمها. قال تعالى: «واخفض لهما جناح الذل من الرحمة وقل رب ارحمهما كما ربياني صغيرا» (الاسراء/ 24). انها الرحمة التي خلقها الله تعالى لنخففك عليها، وتأخذ منها ما يرفع من مستوى روحنا وأخلاقياتنا ومشاعرنا، وما يقوي شأننا وحركتنا في الحياة المليئة بالأسواق والتحديات، علينا أن نتعلم من صبر الأم الصبر؛ بأن نصبر على الآلام والتحديات والمتاعب، ونتعلم منها التضحية، ونتعلم منها العاطفة والحنان، ونتعلم منها

قال تعالى في كتابه العزيز: (وصينا الإنسان بوالديه حملته أمه وهنأنا على وحنانه في عامين أن اشكر لي ولوالديك الي المصير) (لقمان/ 14). قد لا نحتاج كثيرا لنستدل على أن الاسلام سعى الى اشاعة مفرات الخير والرحمة والمحبة، وغيرها من العناوين الرحبة الواسعة، والحث على جعلها أساسا في بناء المجتمع الاسلامي. فالاسلام، مملوء بكنوز من القيم الإيجابية التي تحتاج اليها الإنسانية. وما يعنى الرقة والرحمة والبر والخير والحب والحنان والطهارة؛ طهارة الروح التي تنبئ كل قيمة بسموها وحنانها وبقائتها، وطهارة القلب التي يترشف منها الجميع المحبة والعاطفة الشاملة للأحياء. لا جمع المريبة التي تصرف كل عمرها وجهدها وقوتها في حفظ وتربية الأولاد. ان برها لا يتوقف عند حد من الحدود، وبلا مقابل، فهي تريد أن تكون عائلتها بخير وسعادة

الأم مدرسة اذا أعددتها أعددت شعبا طيب الأعراق الأم روض أن تعهده الحبا بالري أربق أيما أيراق

مصدر السلم والسلام

إن «السلام» من أسماة الله الحسنى، قال تعالى: «هو الله الذي لا اله الا هو عالم الغيب والشهادة هو الرحمن الرحيم» هو الله الذي لا اله الا هو الملك القدوس السلام المؤمن المهيم العزيز الجبار المتكبر سبحان الله عما يشركون». هو الله الخالق البارئ المصور له الاسماء الحسنى سبع له ما في السموات وهو العزيز الحكيم» (الحشر/ 24-22). لأن الله عزوجل خالق السلم والسلام، ويضمن ذلك للناس بما شرعه من مبادئ، وبما رسمه من خطط ومناهج، وبين بعثهم من أنبياء وأوصيائهم (عليهم السلام)، وبما أنزله من كتب، فهو تعالى مصدر السلم والسلام، والخير والفضيلة. قال الامام الباقر (عليه السلام): «ان السلام اسم من أسماء الله عزوجل».

كما ان الإسلام جعل «السلام» شعارا له واختاره تحية للمسلمين، حيث ان المسلم اذا التقى بمسلم قال: «سلام عليكم» أو ما أشبه ذلك من الصيغ المذكورة في باب السلام وأحكامه. وتحية الله للمؤمنين تحية سلام: «تحيتهم يوم يلقونه سلام» (الأحزاب/ 44). وتحية الملائكة للنبش في الآخرة سلام: «(والملائكة يدخلون عليهم من كل باب * سلام عليكم» (الرعد/ 24-23). وتحية المؤمنين بعضهم لبعض في الجنة هي سلام: «لا يسمعون فيها لغوا ولا تأثيما * إلا أقبالا سلاما سلاما» (الواقعة/ 26-25).

وفي آخر كل صلاة يذكر المصلي لفظ «السلام» ثلاث مرات، فتبدأ الصلاة بتكبيرة الاحرام وتنتهي بالسلام، حيث نقول: «السلام عليك أيها النبي ورحمة الله وبركاته» وهو سلام على القائد الأعلى. كما نقول بعد ذلك: «السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين» وهو سلام على